الدورة السادسة لمهرجان الفيلم العربي في روتردام:

مسابقات وندوات ثقافية وأفلام مثيرة للجدل

عدنان حسين أحمد *

■ تبدأ فاعليات الدورة السادسة لمهرجان الفيلم العربي في روتردام بين 30 أيار (مايو) ولغاية 4 حزيران (يونيو) 2006. وسوف يشترك في مسابقات المهرجان الخمس 37 فيلماً روائياً ووثائقياً، طويلاً وقصيراً. وسوف تتوزع المسابقات كالآتي: مسابقات الأفلام الروائية الطويلة، وتتضمن 10 أفلام وهي على التوالي: «عمارة يعقوبيان» للمخرج المصري مروان حامد و«انتظار» للفلسطيني رشيد مشهرواي، و«أحلام» للعراقي محمد الدراجي، و«تحت السقف» للسوري نضال الدبس، و«خشخاش» للتونسية سلمى بكار، و«دنيا» للبنانية جوسلين صعب، و«دوّار النساء» للجزائري محمد شويخ، و«يوم جديد في صنعاء القديمة» لليمني بدر بن حرسي و«أبواب السماء» للمغربيين عماد وسهيل نوري، و«البوسطة» للبناني فيليب عرقتنجي. أما مسابقة الأفلام الروائية القصيرة فتشتمل على 13 فيلماً من بينها «على فين؟» للمخرج المصري كريم فانوس، و«زيارة الى الجنة» للعراقي مقداد عبد الرضا، و«أحلام منتصف الظهيرة» لغسان عبد الله، و«أحلام حلوة» لمريم ريفاي، و«ياسمين تغنّي» لنجوى نجار، و«شعرك الأسود يا احسان» للعراقية/ المغربية تلا حديد، و«نهار وليل» للمصري اسلام عزت، و«صباح الفل» للمصري شريف البنداري، و«تصاور» للتونسي نجيب بلقاضي وأفلام أخرى. أما مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة فتتضمن 6 أفلام وهي «العراق: أغاني الغائبين» للمخرج العراقي ليث عبد الأمير، و«مِن يُوم ما رُحت» للفلسطيني محمد بكري، و«مكان اسمه الوطن» للمصري تامر عزت، و«VHS. كحلوشة» للتونسي نجيب بلقاضي، و«نساء في الظل» للسعودية هيفاء المنصور، و«أوراق سجينة» لسعد هنداوي. بينما ضمّت مسابقة الأفلام الوثائقية القصيرة 8 أفلام وهي «أيام بغداد» للعراقية هبة باسم، و«30 متراً صمت» للأردني محمود المساد، و«ملوّن في زمن الحرب» للعراقي كاظم صالح فرج، و«سيمون المستعمِد» للسورية أنطوانيت عازارية، و«ست بنات» للمصري شريف البنداري، و«موزائيك» للسوري روش عبد الفتاح، و«حاجز سوردا» للعراقي قاسم عبد، و«الغسّالة» للسوري هشام الزعوقي. بالاضافة الى المسابقات الأربع التي تمنح جوائز الصقر الذهبية، والفضية، والبرونزية، هناك مسابقة خامسة تمّ استحداثها العام الماضي وتبناها راديو وتلفزيون العرب ART والتي تُمنح جائزتها لأفضل عمل سينمائي أول لمخرجه.

لقطة لفيلم «بنات وسط البلد»

بنات وسط البلد يُحيّين حفل الافتتاح

سوف يُفتتح المهرجان بالفيلم الروائي الطويل «بنات وسط البلد» للمخرج المصري محمد خان الذي أصدر مع عدد من أقرانه بيان السينما الجديدة في نهاية السبعينات من القرن الماضي، ودعا الى ارساء قيم فنية وجمالية تحترم ذائقة المتلقي العربي، وتتعاطى مع مشكلاته الراهنة. الفيلم من بطولة منّة شلبي وهند صبري ومحمد نجاتي وخالد أبو النجا. ومن أبرز الأفلام التي تعزز رؤية محمد خان للسينما الجديدة هي «أحلام هند وكاميليا» 1988، و«زوجة رجل مهم» 1988، و«السوبر ماركت» 1989، و«فارس المدينة» 1992، و«أيام السادات» 2001، كما سيُعرض فيلم «الغسّالة» وهو وثائقي قصير للمخرج السوري هشام الزعوقي الذي سبق له أن فاز بجائزة الصقر الذهبي في الدورة الثانية لمهرجان الفيلم العربي في روتردام عن فيلم «غرباء دوماً».

برامج خاصة وندوات ثقافية على هامش المهرجان

ينظّم مهرجان الفيلم العربي كعادته برامج وحلقات نقاشية معززة لبرنامج المسابقات الخمس. وهذه البرامج هي أفلام من أجل السلام وتتضمن عرض 4 أفلام من أبرزها «انتقم ولكن من أجل عين واحدة» لآفي مغربي، و«الجنة الآن» لهاني أبو أسعد. وبرنامج كرفان السينما العربية ـ الأوروبية الذي يشتمل على 4 أفلام وهي «زوزو» لجوزيف فارس، و«بذور الشك» لخمير ناصر، و«ماروك» لليلى مراكشي، و«من أجل الخبز فقط» لرشيد حاجي.

أما برنامج التكريم فيشمل المخرج التونسي ناصر خمير الذي سوف يعرض له فيلم «بابا عزيز»، وفنان الديكور المصري صلاح مرعي الذي عمل في فيلم «المومياء» و«حكاية الفلاح الفصيح»، وبعض المشاهد التحضيرية لفيلم «أخناتون» للمخرج المصري شادي عبد السلام. كما ستعرض 5 أفلام أخرى في دورة الأحياء في روتردام، ودورة لاهاي. أما الندوات والحلقات النقاشية الأربع والتي ستُقام يومياً ما عدا يومي الافتتاح والاختتام فهي تجارب سينمائيين عرب في أوروبا، والصراع العربي ـ الاسرائيلي في السينما، وأفلام من أجل الاصلاح، ومسلمون تحت مجهر السينما الغربية. وسوف يشترك في هذه الندوات عدد من النقاد والفنانين السينمائيين العرب والهولنديين.

لجان التحكيم

تتألف لجنة تحكيم الأفلام الروائية من المخرج الهولندي جورج سلاوزر رئيساً، وعضوية كل من المغربي اسماعيل فروخي، والتونسي ناصر خمير، والممثلة المصرية سميرة عبد العزيز، والناقدة الهولندية بليندا دي خراف.. وجدير ذكره أن جورج سلاوزر 74 هو واحد من أشهر ثلاثة مخرجين هولنديين على قيد الحياة، وهو من أصل يهودي، ومناصر للقضية الفلسطينية، ويقف الى جانب الحق الفلسطيني بشجاعة نادرة. ومن أعماله السينمائية في هذا الصدد فيلم أوديوز بيروت حيث تابع سلاوزر حياة عائلتين فلسطينيتين لمدة ثماني سنوات 4197 ـ 1982 وخرج بانطباعات مذهلة عن رحلة تشريدهما التي أبهرت المشاهدين، وحرّكت مشاعرهم. أما لجنة تحكيم الأفلام الوثائقية فيترأسها المخرج الهولندي بوب فيسر (57 عاما) ويشارك فيها كل من الناقدة اللبنانية هدى ابراهيم والمخرج التونسي مصطفى الحسناوي.

ضيوف المهرجان

قامت اللجنة المنظمة للمهرجان بدعوة 75 شخصية فنية ونقدية عربية وهولندية، بينهم عدد من نجوم السينما العربية، أبرزهم الممثل فتحي عبد الوهاب، والممثلة منّة شلبي، والممثلة التونسية هند صبري، والممثلة السورية سلاف معمار، والممثلة الفلسطينية عرين عمري، والفنانة الكبيرة سميرة عبد العزيز، وكاتب السيناريو الكبير محفوظ عبد الرحمن الرئيس الشرفي للمهرجان وعدد كبير من النقاد السينمائيين نذكر منهم د. سمير فريد، ومحمد رضا، وعدنان حسين أحمد، ووائل عبد الفتاح، وفيكي حبيب، وهدى ابراهيم، ومصطفى المسناوي، وقيس قاسم. وسوف يشارك عدد كبير من المخرجين العرب الذين اشتركت أفلامهم الروائية سواء في المسابقات الخمس أو البرامج الموازية لها أمثال محمد خان، والناصر خمير، ومصطفى الحسناوي، وتامر عزت، وشريف البنداري، ومحمد شويخ، ورشيد بلحاج، ونضال الدبس، وسمير نصر، ومريم ريفاي، وغسان عبد الله، ورشيد مشهراوي، ومحمد الدراجي، ومحمود المساد. كما وجهت الدعوة لعدد من مسؤولي المهرجانات والقائمين على المؤسسات السينمائية العربية من بينهم عبد اللطيف العصادي، ورأفت شركس، وهالة جلال، ود. ماجدة واصف، ويوسف شريف رزق الله، ومسعود أمر الله، وعلي أبو شادي، ونزار الراوي.

أفلام مثيرة للجدل

تحتفي الدورة السادسة لهذا المهرجان بعرض عدد من الأفلام السينمائية التي تتحرش بالتابو الجنسي والسياسي على وجه التحديد. فقد أثار فيلم «ماروك» أو «مراكش» لليلى مراكشي، المخرجة الفرنسية من أصل مغربي، ردود أفعال متباينة بين التأييد المطلق للفيلم، والرفض القاطع للثيمة الحساسة التي تتمحور حول العلاقة الغرامية الساخنة بين غيثة الفتاة المسلمة، ويوري الشاب اليهودي المغربي اللذين كانا على وشك ممارسة الحب. وبعد عرض الفيلم بشكل محدود في المغرب تصاعدت الآراء الغاضبة الى الدرجة التي اتهم فيها البعض مخرجة الفيلم بالتصهين، فيما ذهب المخرج محمد العسلي الى وصف الفيلم بأنه انتهاك في حق المغاربة والمسلمين. كما أصدرت نقابة المسرحيين المغاربة بياناً تصدت فيه لمضمون هذا الفيلم ورأت فيه تشويهاً معتمداً لبعض السلوكات المفضوحة، والتي تظهر بجلاء ووضوح من خلال بعض الأعمال السينمائية المحسوبة على الانتاج المغربي، والتي أنتجت بالاشتراك مع جهات خارجية، يقف خلفها لوبي يستغل الصورة ليمرر بكيفية صارخة ايديولوجيته المشينة والمسيئة للمتلقي المغربي.

وأوضح البيان ان ما جاء في فيلم ماروك هو لتكريس الاستعمار الثقافي والولائية الفرانكفونية الجديدة . ودعا نقابة المسرحيين الى ادانة مثل هذه الأفلام المدسوسة وكل من يقف خلفها وشدد على ضرورة مقاطعتها ومقاومتها انتاجاً وتصويراً وتمثيلا فوق تراب هذا الوطن المقدس.

ومن جانب آخر صرحت المخرجة ليلى مراكشي لصحيفة «لا في ايكو» ان ماروك عبارة عن صورة تعكس الحياة الناعمة لشباب مصاب بانفصام الشخصية، منقطع عن الواقع، يعيش حسب الانماط الغربية لكنه غالباً ما يبقى متمسكاً جداً ببلاده وتقاليدها. وسوف يعرض المهرجان أيضاً فيلمين مثيرين للجدل وهما «انتقم، ولكن من أجل عين واحدة» لآفي مغربي، المخرج الاسرائيلي وناشط السلام المعروف بمواقفه المساندة للقضية الفلسطينية حيث يتمحور فيلمه حول أسطورتين مثيرتين للجدل وهما شمشون ودليلة وقلعة مسادا التي رسخّت في أذهان الاسرائيليين منذ وقت مبكر بأن الموت هو أفضل من الاستسلام بكثير. وفيلم «الجنة الآن» الحائز على جائزة «الغولدن غلوب» والذي يتناول حكاية شابين انتحاريين يُحجمان في اللحظات الأخيرة عن تنفيذ العملية الانتحارية بعد وصول كل منهما الى قناعة راسخة تفيد بعدم جدوى هذا النوع من المقاومة اللاانسانية. كما تتعرض أفلام أخرى الى المشاهد الساخنة، وغرف النوم الوثيرة، وعوالم الدعارة، والمثلية الجنسية كما في فيلم «عمارة يعقوبيان» وفيلم «خشخاش» أو «زهرة النسيان» لسلمى بكار وفيلم «الخبز الحافي» للمخرج الجزائري رشيد بلحاج.

---

* ناقد من العراق يقيم في هولندا

تداعيات

الشرق هنا.. جثة في معرض.. ينقصها الهرم

ناجي طاهر *

■ مصر هبة النيل، هذا ما اخبرتنا به كتب التاريخ. وهكذا كان عنوان الدرس. وكانت الأهرامات فيها، تظلل حاشية النص.

وفي درس تاريخي آخر، ألماني هذه المرة. كنا نجوب فيه باحات القسم الشرقي من المتحف البرليني. كنتُ مذهولاً من ضخامة الصروح والأعمدة، والهياكل المرصوفة، كأنها وُجدت هناك منذ الأزل. قطع من جنائن باب المعلّقة، أكمل تشييدها بمجسّمات اصطناعية، وفاقت دقتها الوصف والأصل. أعمدة وأنصاف قلاع حقيقية من أنطاكية وبيزنطية وصخرة أو بلاطة، كأنها جدار فيه تجاويف غريبة من الأردن.

وثمة أيضاً آثار ونقوش سومرية وفرعونية. كان كلُّ واحد منا يحمل دليله بيده، آلة لعينة تسلمناها عند المدخل، تُجيبك عن كل تفاصيل المعلم الأثري. أصله وفصله ومكان العثور عليه، واسم المكتشف والسنة والطريقة، التي تم نقله بها الى المانيا.

كأن الشرق بكل سحره وأساطيره، يكاد أن يرقد هنا في سبات سرمدي، جثة في معرض. لا أعرف لماذا شعرت بالغيظ من صديقتي، التي دعتني الى هذا المعرض. وبدأت أحملّها مسؤوليات الأشياء التي أراها. لماذا تراها دعتني الى هنا، ومن قبل الى البرج الأعلى في مدينتها السابقة، برلين الشرقية، أتراها أرادت أن تريني معالم حضارتها، أم أنني أبالغ في الأمر، فهي كأكثر الألمان، لطيفة تحب المتاحف والآثار؟

وربما ما زالت تحب الشرق القديم، كما كانت تحبه عندما كانت في موسكو تدرس الموسيقى، والعلاقات السوفييتية ـ الألمانية إبّان الحرب العالمية الثانية.

إنها الآن برلينية غربية، وهي تملك، كذلك سيارة المانية حديثة، انها بكل بساطة لم تعد برلينية شرقية، كما أنها انتقلت منذ سقوط الجدار، لتعيش في برلين الغربية. انها سنوات عشر، أنجبت خلالها ولدين، ولا عدد دقيقاً للأصدقاء الذين بدلتهم، والذين على الأغلب كانت سحنة أغلبهم سمراء، لأنها كانت تحب الشرق والعرب منهم أكثر من غيرهم. وربما الان تكرههم، تماشياً مع ظاهرة كره الأجانب!؟

لديكم العصر والآلة وانت الآن في الغرب، أو غربية، والشرق، الذي كان ينقصكم، ها هو متخف بين أيديكم، مارد قديم في زجاجة، لا ينقصه سوى الهرم، لكي يكتمل المشهد. أردت أن أقول لإلكة لكنني لم أنطق سوى بالمقطع الأخير:

ـ بقي الهرم وحيداً هناك، لماذا لم تجلبوه هو الآخر؟

الألمان يوصفون عادة، بأنهم شعب جاد، يقدّس العمل والنظام. وربما أزعجهم هذا الوصف، وتمنوا لو يُضاف الى هذه الأوصاف أيضاً، صفة خفة الدم، كتلك التي تُعطى غالباً للمصريين مثلاً. لكن دراسة نُشرت نتائجها مؤخراً أشارت الى أن الألمان أقل شعوب الأرض ضحكاً. أي الأكثر تشاؤماً والأقل تفاؤلاً، أو ميلاً للمرح والثقة بالمستقبل. بالطبع خيّبت نتائج هذه الدراسة آمال الكثير من الألمان. وكدليل على هذه النتيجة، ضُرب عدم فهم وبالتالي عدم ضحك الكثير من الألمان لكثير من النكات التي تُلقى عليهم، كأحد المؤشرات على هذا الأمر. وربما لهذا لم تضحك إلكة وبقيت رصينة مهذبة للغاية وجدية الى أبعد مما بعد الحداثة. على كل حال، أنا لم أقل أكثر نكات الأرض إضحاكاً أوتضحيكاً، أو الأكثر إثارةً للضحك (إختر المفردة التي تناسب قاعدتك اللغوية والنحوية ولا تحزن!).

ـ ربما، لأنه كبير الحجم!

ـ نعم الهرم كبير جداً بعض الشيء، ربما يأتون به على مراحل، على فكرة كيف تمكنتم من نقل هذه القلاع وأكثر ما يحيرني هي تلك الصخرة الكبيرة التي من الأردن؟

سألتُ إلكة، التي سألت بدورها الناي الحديث الذي، كان بين يديها عن صخرة الأردن فأجابها وقالت:

ـ إنه يقول، أنكم، ليس أنت، ولكن ربما أحد اجدادك كان من بين أولئك العمال، الذين جروها الى الميناء وأصعدوها الى السفينة، التي جاءت بها الى المانيا منذ قرن ونصف تقريباً.

هكذا هي إلكة، تستسيغ النقد الساخر وتجيد إدراجه في سياق الجمل الطبيعية، وكله في إطار من المزاج الجاد والهادف.

ـ إلكة، يا عزيزتي، أنتم لصوص، ليس أنت ولكن ربما أحد أجدادك ممن كانوا يبحثون عن جدران وأعمدة وصخور أجدادي ليسرقوها ومن ثم ليحضروها الى هنا، والأنكى من ذلك كله، أنهم فعلوا كل ذلك على ظهورنا.

ابتسمت، ابتسامة سريعة، لأن لكل ابتسامة معنى، فالإبتسامة الطويلة، هي الأكثر غباءً، والأقل دلالةً ومغزى. أما المتوسطة فهي، حمّالة أوجه، وعلى الأغلب يتم تفسيرها بشكل خاطىء، أما القصيرة، فهي أنواع، منها الخاطفة، وهي الأكثر كثافة والأعمّق تأثيراً والأشد بلاغةً، لأنها، لا تكاد تفترق عن الصمت إلا بقليل متفاوت.

ـ إننا قمنا وما زلنا نقوم بذلك من أجلكم ومن أجل صالح البشرية أجمع. إننا نحمي هذه الآثار منكم، ليس منكم جميعاً ولكن من اللصوص منكم، الذين، لا يردعهم شيء. فهم مستعدون لأن يكسروا تابوت مومياء، لا تُقدر بثمن من أجل حلية أو عقد قد يساوي بعض المئات من الجنيهات.

بدت إلكة وهي تقول هذه الكلمات، كأنها جدّة فرعونية حنون تطبطب أسئلة طفل شرقي قديم مضطرب، يجب أن ينام، وربما الى الأبد، لكنه لا يريد، فراح ينقنق أو يتدلل على أبعد تقدير.

ـ حسناً، شكراً لكم، ولكن أتعدينني، أنني عندما أكبر ستعيدين لي الهرم!

ضحكت، ضحكةً قصيرة هذه المرة، وقالت:

ـ أعدك، أعدك!. ولكن دعنا من المزاج الآن! ألا تجد غرابةً في كون هذه الأهرامات العظيمة موجودة هناك؟ كأنها سقطت من كواكب بعيدة في تلك الصحراء!

لا أعرف لماذا أغاظتني حينها تساؤلات الصديقة الألمانية. وشعرت كأن الأهرامات بقيت هناك حقيقةً، وحيدة عُرضةً للصوص. أوربما لأنها غمزت من قنوات عرقية. أو ربما من إشارتها الى كون الأهرامات قد تكون عبارة عن نيازك سقطت من السماء هناك. لكن استغرابي وامتعاضي، سرعان ما بدآ بالتلاشي. عندما رحت استعرض صور لصوص المقابر والأهرامات والآثار والدول. وكاد حمقي أن يزول كليةً، عندما تداعى الى ذهني كذلك، مشهد القضاة المصريين وهم يُذبحون كما قال أحد القضاة، الذين كانوا يعتصمون، ويتظاهرون، كطلاب مدرسة ثانوية، وهم يرتدون الوشاح الأحمر. لم أدقق في الخبر، أو التفاصيل، إذا ما كان ثمة مذبحة حقيقية أو مجازية، تحت تعبير قاض منهم عن مذبحة تحصل في القضاء. تداعى الى مخيلتي، كل المشهد المصري، والعربي بكل رداءته وتعاسته. وسألت نفسي: أهؤلاء هم حقاً احفاد وورثة الفراعنة والبابليين وكل قدامى الشرق؟

وبدأت أميل للاقتناع شيئاً فشيئاً بكلام إلكة عن حماية تراث البشرية. وكنا قد شارفنا على الانتهاء من معرض الشرق لندخل في عصر الغرب المتواصل. اليونان، إذ بدأ الوطء يخف قليلاً، إذ أن هؤلاء، هم أيضاً هنا في المتحف. وورثتهم، أي اليونانيين الجدد، الحاليين، لم يتردد الكثير من الأوروبيين في إبداء الامتعاض من عملية إلحاقهم في أوروبا المتحدة، على اعتبار أن حاضرهم، الاقتصادي والاجتماعي، لا يكاد يختلف كثيراً عن حال المصريين أو اللبنانين، أو أي دولة عالمثالثية أخرى، غير أن ماضيهم التراثي، الفلسفي والعلمي هو ما شفع لهم، إذ أنهم يشكلون إحدى الدعامات الفكرية الرئيسية للجذور الأوروبية حضارةً وثقافةً وتاريخاً.

فإذا بي أنتهي الى المفاضلة أو المعادلة الصعبة والعسيرة: فإما أن تبقى الأهرامات في مصر عرضةً للصوص وتجار الآثار والحضارة والتاريخ، فيما يُذبح القضاة، الذين يفترض دورهم أو ما يُتوقع منه، أن يُحاكموا هؤلاء اللصوص. وبين أن ننقل هذه الأهرامات لتُحفظ وتُصان هناك في متاحف برلين. بين هذه وتلك، ارتأيت، أنه من الأفضل وعلى الأحوط الأعمّ، أن نعمل، وبكل القوى والأساريرـ وعلى وجه السرعة، ودون أيّ تأخير أو تأجيل، على نقل هذه الأهرامات، وما بقي من تراث الشرق العظيم، الى متاحف برلين. ومن أجل تحقيق هذا الهدف السامي والنبيل، على كل الجهود والأيادي الخيّرة، الجميلة منها والنحيلة، أن تتضافر وتتحد، قبضة رجلٍ واحد، كالبنيان المرصوص لأجل هذه الغاية!

بعد لحظات الصمت هذه، التي جلت بها على أنصاب أهلي، ورميت الأزلام في أقداح جماعتي، واستخرت تاريخي المليء بالأنبياء والأساطير والمروءة. قلت لإلكة ناقلاً عزيمتي وقراري النهائي:

ـ حسناً، موافق، ولكن ستّرديه لي عندما أبلغ، أليس كذلك!

مبتسمةً، ابتسامةً متوسطة سألتني:

ـ وما هو، هذا الذي علي أن أرده لك عندما تبلغ؟

ـ الهرم، أولم تعديني! أجبت جاداً.

---

* كاتب من مصر يقيم في ألمانيا

بعد المطر بقليل

نوال العلي*

...

الذي ضل طريقه بين الأشجار الجافة جداً في المنحدر ليس نفسه،

من أمسكته العجائز في حقول مبطنة بالأشباح والنمل،

وقرقعة علب معدنية معلقة في فراغ بين الثمرة وأختها.

ليس نفسه،

الميت الذي وجدته مختبئاً بين الحشائش الضارة،

وقد دخل عامه الثاني وما زال يحتفظ بخاتم حديدي وثلاثة أرغفة يابسة.

ـ شهدت كل شيء، وأنا جالسة فوق الخزّان كعادتي، أقابل الليل بعد أن تنام عائلتي متدلية من سقف الحلم إلى الخارج.

العسكر يطوقون الموت المهجور، وقد جمعوا «الفشك» وقطع التنك وبقايا أقمشة طيرتها الريح من المزابل إلى هنا أمام عيني.

تتدفق مياه البلدية إلى الخزان، فأحس بنمنمة لذيذة في قدمي الملمومتين بذراعيّ. أرصد صوت الماء والعتمة، ثم أوقظ أمي لتمد «البربيج» وتسقي أشجارها المدللة، ونباتاتها النامية في علب «حليبنا» و«تنكات» الزيت المستهلكة في العام الماضي، هذه الجلبة المفاجئة تربك شقيقي الذي كان يمارس العادة السرية على ما يبدو، فيتقلب بعنف، ويتأفف بلوعة.

لكنه ليس نفسه،

الحزين الذي وصل حين كان الإسفلت طازجاً، على الشارع المستحدث بين البيوت المصنفة من الفئة «ب»

الأمر الذي يعني أن نجتث بعض الزيزفونات لنمد أمتارا من الباطون، ونبتاع باباً مستطيلاً من الألمنيوم انقطع بنصر شقيقي برتاجه الحاد، لم تكن فكرة الكراج سيئة جداً، فقد تسنى لنا أن نرسم مربعات «الحجلة» باستقامة أكثر ـ

ما زال حذاؤه في السقيفة ملطخاً بالقطران بعد كل هذه السنوات، ساخناً تفوح منه رائحة الغياب، والشمس الحامية لظهيرة «آبية» من الثمانينات، حين درجت موضة «الكتافيات» العريضة، فتبدو خالتي القادمة من بعيد فزاعة ترتدي جاكيتاً رمادياً، منقوشاً بكمية مدهشة من أزهار معملقة، لم يخلق في حجمها قط.

ليس نفسه،

حائراً صادفته في طريق مجنحة بالسراخس خلف البناء، حيث عاش أبي في شبابه.

قال إنه يختنق فعلّمته كيف يبكي،

بكاء عودتني عليه نساء وحيدات تربيت في أحضانهنّ، أمي، أخواتي، عماتي، خالاتي، ثلة من الأرامل والمطلقات والعوانس والدميمات. كن بائسات بحق، لا يشغلهن سوى تأخر الطمث وبضع نكات إباحية يكررنها على نحو مبك، بينما تلف أصابعهن ورق الدوالي باحتراف، يرمين به محكماً إلى قدر أخذت تصغر عاماً بعد عام، إذ انسحبن من المشهد، واحدة تلو الأخرى.

لم يبق سواي وشقيقتي، تحاول كل منا أن تبقي النار هادئة، تحت قدر «اليخنة» التي تكفي لشخص واحد على الأكثر.

وليس نفسه،

مرتبك يتبع بحة الأنثى الواقفة أمام تاجر الكلف والشلحات الموسلين، توتونجيان بائع التتن في صباه، يقول لها إن الجنس «تمباك» حياته الملفوف بالموسلين الأسود.

لا يخفي استياءه من هذا الحديث العاري بين الأرمني والصبية، المرتبك يبقى دائماً على الرصيف المحايد بجوار الفتاة، وعندما تستدير نحوه يتذرع بالنظر إلى ملصقات سينما رغدان الإباحية.

لا يعقل أن يكون نفسه،

من يصغرني بعامين ـ وله أخت غير شقيقة عضضتها مرة في مؤخرتها، فعاقبتني أمي بأن أوثقتني في مخزن «العتق» ليلة كاملة مصفية لصراخي يختلط بنباح الكلاب

ـ

أصغرنا وأكثرنا صمتاً، عندما التقط لنا السائح صورة تذكارية إذ اصطحبناه إلى المدرج الروماني، جلس مقرفصاً، مرخياً يده على ركبته كإشارب أنثوي متهدل. فاقتربت منه وقاسمته سيجارة «ميركوري» كان يدخنها باستهتار.

لكنه ليس نفسه،

«ينال» الذي اعتصرناه بيننا،

ـ وقت اختبأنا، نحن الفتيات الخمس، وكنت أكثرهن بشاعة، في زقاق بين العطّار والفرن القديم، وقد ابتلت ملابسنا بالكامل فالتصقت التنانير بأجسادنا اليافعة، وتبادلنا نظرات ساكتة ثم انخرطنا في ضحك ماطر تحت شتوة أيلول التي بللت ذيل الصيف، فانتفض هارباً كقط بريّ ـ

رغم أنهن تحرشن بكامل أعضائه، لكني وحدي، حظيت بقبلة من فمه القرمزي الشركسي. ذلك أن نظرة قديمة ظلت بيننا.

وليس نفسه،

السادن الذي استغفلته أميرة،

ـ لها شكلي ومزاجي من حدة الطبع وفوبيا الغيم، والتطير من صدف البحر، لكنها في ذلك القرن الغابر صعدت المائة ألف درجة ووجدت نفسها في مكاني بيدين مذعورتين و«باغة» خالية تماماً «للكلاشن» الساخن المفرغ للتو بالخطأ ـ

السادن كان قد مات معها طويلاً، صاعداً تلك السلالم خلفها، أمسك اليدين الهستيريتين ومسح الدماء بكمّه عن وجهها بهدوء.

أبداً، ليس نفسه،

الوحي الذي جاء بعد المطر بقليل،

ـ في شتاء ألف وتسعمائة وخمس وتسعين، اقتادتني أمي لتكويني عند الحجاب ـ قالت إن العلل تتكالب على جسدي، وليس بي مرض سوى أنني أعلم ما لا يعلمون ـ

لم يكن ذا جناحين،

غير أن عباءته زملتني تماماً،

فغبت عن الخلق في ليليكيّ، صار موحشاً وقاتلاً كلما سدرت فيه،

كأن روحاً شيطانية تسلمني إلى أخرى.

كأن باطني مختزل في ظاهر الغيب الذي شاهدته في ما مضى،

لكنه ليس نفسه.

---

*شاعرة من الاردن،

وهذا جزء من نص طويل بعنوان «الميت»